

الآداب العربية

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو السوي (تابع)

٢ ادباء النصارى في الحقبة الاولى من هذا القرن

٦ ادباء مصر النصارى

١ جارى ادباء النصارى في مصر ادباءها المسلمين ولعلمهم كان لهم التقدم في تلك النهضة الادبية . على ان ذلك الفضل يعود خصوصاً الى نصارى الشام الذين لم يجدوا في وطنهم ما يرغبوا فيه من سعة الحال وبسطة العيش والحرية المتدانة فهاجروا الى مصر ليمتروا فيها بحضارتها تحت نظارة بريطانية العظمى . وما لبثوا ان تخصص بعضهم ممن تخرجوا في مدارس الاجانب في الشام للكتابة فنبغوا فيها كما تشهد لهم تأليفهم والصحف التي تولوا ادارتها فتهجوا الطريق في ذلك لاهل مصر . وها نحن نذكر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الاولى

﴿ عبدالله مرآس ﴾ توفي في غرة القرن العشرين في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٠ في مرسيلية وكان مولده في حلب في ١١ ايار ١٨٣٦ وهر اخر فرنسيس الذي مرت لنا ترجمته بين ادباء القرن التاسع عشر وكلاهما من أسرة فاضلة عرف اصحابها بفضاهم ورفي آدابهم . تخرج عبدالله في الشهباء في مدرسة الآباء الفرنسيين ثم تعاطى التجارة فيها مدة واتسع في اعمالها وسافر الى انكلترا عميلاً لشركة من التجار في منشتر فاجاب ثروة واسعة . ثم عدل عن التجارة واشتغل بالآداب في باريس وفي انكلترا وحرر في جرائدهما العربية كمرآة الاحوال لرزق الله حسون ومصر القاهرة لاديب اسحاق والحقوق ليخانييل عوزا وكوكب الشرق لاحد الفرنسيين وقضى

اواخر سني حياته في مرسيليا . وكان عبدالله مرأش يشبه رزق الله حنون في درسه للغة العربية ومعرفة تاريخ العرب والبحث عن الآثار العربية في مكاتب لندن وباريس ونسخه عنها ما يراه من نوادرها جديراً بالذكر ينقل ذلك بخط بديع . وكان عبدالله ضليماً بالانشاء العربي يحسن الكتابة ويحرص على وضوح معانيها وله فصول رائعة في الاخلاق والآداب وانتقادات حسنة على منشورات المستشرقين ورسائل شتى في العلوم المصرية والاحوال السياسية . وتعريبات لبعض كتابات الفرنسيين (الطبيب الضياء ٢: ٣٤٤ و١١١)

وممن اشتهروا في مصر من اهل الشام المرحوم ﴿بشارة تقلا﴾ اخو سليم وقربنه بإنشاء الصحافة والتأليف . ولد في كفرشيا في ٢٢ آب ١٨٥٢ وتوفي في ١٥ حزيران ١٩٠٢ عرف منذ حداثة بتوقد الذهن ودرس في المدرسة الوطنية ثم في المدرسة البطريركية وعلم مدة في مدرسة عين طورا . ثم لحق سنة ١٨٧٥ بأخيه الذي كان سبقت الى الديار المصرية فأنشأ هناك في اوائل آب من السنة ١٨٧٦ جريدة الاهرام ثم صدرت الاهرام وكابدا بسبب الجريديتين عدة مشقات ومضاميات لما نشرها من المقالات الحرة زادت اعمال الحكام والدفاع عن حقوق المصريين واستمعانا بحماية فرنسة اذ غارت من يتعرض لها . وسافر بشارة غير مرة الى اوربة وزار عواصمها ثم رحل الى الاسكندرية ونال من امتيازات سلطانها فضلاً عما نال من انعامات فرنسة كوسام جوقة الشرف ووسامات غيرها من الدول . ثم عاد الى مصر ووسع دائرة جريدة الاهرام فوصل بمجده ونشاطه الى ان اصبحت بفضلها في مقدمة الجرائد المصرية وقد خدم بها صحال المصريين بازاء الاحتلال البريطاني وانتصر لفرنسة وحقوقها . أصيب في اواخر عمره بداء التلب فرجع الى سورية انتجاعاً للشفاء فتوفي في وطنه

وخدم مصر شاباً آخر فمات في عز شبابه نعتي به ﴿خليل الجاويش﴾ الولد في بيروت سنة ١٨٧٢ والتخرج في مدارسها وخصوصاً في المدرسة البطريركية حيث درس العربية على الشيخ ابراهيم اليازجي ثم انتقل الى مصر وخدم في حكومتها بضع سنوات . ثم تولى في الاسكندرية رئاسة تحرير جريدة الاهرام عدة سنين الى ان شعر بانتهاك القوي فعاد الى لبنان رجاء ان ينعم بيوانه قواه فلم يجد ما أمله فعاد الى مصر وتوفي في حلوان في ٢١ شباط ١٩٠٢ . ألف روايات ادبية ومنظومات شعرية

نشر بعضها في مجلات مصر

وفي مصر كانت وفاة احد مواطنينا السوريين (نقولاً بك توما) ولد في مدينة صيدا سنة ١٨٥٣ ودرس في مدرستها للآباء اليسوعيين ثم صار من اساتذتها وعلم في بعض مدارس لبنان حتى انتقل الى مصر سنة ١٨٧٤ فانتظم مدة في سلك عمال دولتها ثم تبنى له السفر الى باريس فاجتمع فيها باصحاب النهضة كالسيد الاقصاني والشيخ محمد عبده وكتب عدة مقالات نشرها في جريدة مرآة الحلال ثم عدل الى فن المحاماة ولم يزل منكباً على درس اصولها ومشكلاتها حتى برع فيها وانشأ مجلة الاحكام المدرسية فزادت بها سمعته واقبل عليه الجمهور فعدل عنها ولزم المحاماة حتى عد من نوابها سالكاً فيها بكل جرأة الى ان اضطرته الامور مع انتهاك الصحة الى السفر الى اوربة وفيها كانت وفاته في ٢٥ آب ١٩٠٥ . كان نقولاً بك في مرافقاته في القضاء بليغ الكلام يتدفق في بسط الدعوى وبيان غمها وسينها لا يتلجلج لسانه في شرحها وتطبيقها على القوانين الشرعية وفيه قال بعض الشعراء :

أجما الطالب البيان عام المطق الحق نصه والنقولوا
لا تجده السرى وحبك مهر بلوغ النى وفيها نقولوا

وفي السنة التالية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٦ ذهب الميرت مجياة سورري آخر أدي في مصر خدماً مشكورة للآداب العربية وهو الدكتور نقولاً بك احد مراسلي مجلة المقتطف . كان ولده في حاصياً سنة ١٨٥٨ وابت به أمه مع اخوته الى صيدا ثم الى بيروت بعد ان قتل والدهم في حوادث السنة ١٨٦٠ فترأى نقولاً في مدارس الانكليزية ثم في الكليّة الاميريكية وفي السنة ١٨٧٦ درس في احدي مدارس دمشق ثم عاد الى الكليّة فدرس فيها الطب ونال شهادتها وله في مجلة الطبيب فصول طيبة تشهد له بحسن النظر والذكا . ثم رحل الى مصر وتعالى فيها الطبابة منتظماً في سلك الجيش المصري منتقلاً معه الى اصران فوادي حلفا . ثم سافر الى اميركة رواجه رئيس الولايات المتحدة ونشر تفاصيل رحلته اليها في مجلة المقتطف وكذلك رحل الى ارثريا والحلشة فحرر اخبار سفره اليها مع ما وجدته فيها مما يلد القراء من الامور الطيبة واخلاق البشر . وكان هذه الاسفار أثرت في صحته بحيث لم تنجع

في علاج دائه حيلة الاطباء. وكان اتى بيروت، وملاً الشفاء، فزاد مزاجه انحرافاً فرجع الى مصر وتوفي فيها بعد قليل

وفي ٢٤ ك ١٩٠٧٢ قبضت النون روح احد اديباء بيروت المستوطنين للقاهرة وهو «جميل بك نخله المدرر» من اسرة معروفة في الشام بفضائها وادب اصحابها. وكان المذكور مولعاً بالتنقيب عن آداب العرب وتاريخ الامم الشرقية القديمة. فصنّف في حياته تاريخ بابل وأشور وسبكه بكتاً حسناً واخرجه بعبارة بليغة وعرب كتاب التاريخ القديم ورواية «أتالا» لشاتوبريان. وانما افضل تأليفه كتابه حضارة الاسلام في دار السلام روى فيه على صورة رحلة خيالية لبعض اهل الشيعة ما ورد في تأليف المؤرخين والادباء عن احوال الملكة في أيام هارون الرشيد وهو فكر حسن اقتبسه الكتاب من احد اديباء الفرنسيين المدعو برتليسي الذي روى على هذه الصورة - من احد الاجانب المدعو اناكسيس (Anacharsis) الى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر والى ما يستحسنه من عادات اليونان واخلاقهم وعلومهم. ومثله - برتليسي - من تأليفه. وهذه نبذة من تلك الحضارة تطلعك على أسلوب كتابها البارع ضئها وحرف ربيدة م جعفر روجة هارون الرشيد بنت جعفر بن المنصور وام الخليفة الامين (ص ١٠٢-١٠٣) :

«واثن كنت رأيت له (ي للرشيد) في تدبير الملكة ذلك التمرشرف الجميل فاني ما وجدته له في تدبير اهل بيته وسواليه وانما يرجح الرأي في ذلك الى زوجة ام جعفر وهي اتخذت البايين كلمة في الدولة. وقد ريت في هاد الذعة والدلال كما يشير اليها - فاما ساءها ابو جعفر جدّها بزينة انضاضة بدنا وقد كان يرقصها غللاً بها وينظر الى غضاضتها وملاحتها ساءها زيدة لذلك (١). فلما بنى جا الرشيد وجدها طرفه حديث وصدّر رأي جميل لم ير بدأ من الانتقاد اليها في قضاء جميع ما ترومه من الموانج. ومن ذلك انه مكنتها من بيوت المال فأنفقت من سعة ما ينبغ عن ثلاثين الف دينار (٢). فبنت مجدداً مباركاً على ضفته دجلة بقرية من دور الملاقة بسى بسجد زيدة. ومجدداً سامي الحسن في نطيتها المروقة بتطية ام جعفر (٣) بين باب خراسان وشارع دار الرقيق (٤) وحفرت بالمجاز

(١) الاثافي (٩: ١٠٢) والشربيني (٢: ٢٤٥) والحصري (٢: ٢٣٦)

(٢) في السعدي (٣: ٢٢٧) اخا كانت من الرشيد بالمرلة التي لا يتقدّمها احد من نظرانا

(٣) باقوت (٤: ١٤١)

(٤) ابن خلكان (١: ١٨٩) والمسترشرف (١: ٢٨٩)

العين المروقة بين المشاش ١١ وهدت الذريق لمانا في كل خفض ورفع وسهل ووعر حتى اخرجتها من سائة اثني عشر بيلاً الى مكة فباع ما انفقت عليها الف الف دينار. وهذا من الاعمال التي لم تبشرها امرأة في الاسلام إلا الميزران ام الرشيد. . فان لم يكن عند زبيدة من المال ما يبلغ هذا التدر الجسيم فان لها في السياسة رأياً تسويبه الى التداخل في امور الدولة كأفطن ما يكون من الرجال»

وقد امتاز بين السوريين المهاجرين الى مصر ﴿ الشيخ ابراهيم اليازجي ﴾ فأنه بشهرة اسم والده الشيخ ناصيف وشهرته الشخصية وتآليفه كان من اعظم المساعدين على نهضة الآداب العربية في القطر المصري وفيه كانت وفاته في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٠٦. ولا نعود هنا الى ذكره بعد ما وثقناه حقه في كتابنا الآداب العربية في القرن التاسع عشر (٢: ٣٩١-٤٠٠) مع سائر الاسرة اليازجية. وقد ذكرنا في المشرق (٢٢: [١٩٢٤]: ١٣٧-١٣٨) حفلة نصب تمثاله (له صلة)

رواية السامية القلب

Fr. Porché: La Vierge au grand cœur. Paris, Grasset, 1925, in-12, Prix 7 f⁵⁰

المذراء السامية القلب

هذه رواية تمثيلية شعرية وضعها الميور پورشه موضوعها جان درك تحت عنوان «المذراء السامية القلب» فيسط مآثرها منذ دعرتها الى انتصارها وموتها. ولا ننكر ان المؤلف تعبت في درس جان درك وعواطفها وفخائلها إلا أننا وجدناه مخلاً في امرين: الأول بكونه انطوي في الرواية الساموية التي يشخصها امام الحضور والثاني انه لم يحتم الرواية بما ينتظر من تجويد القديسة جان درك في استنهاها ج. ل

Georges Goyau: FRÉDÉRIC OZANAM. Paris, Payot, 1 vol. in-16, 1924, Prix 5 f³

ترجمة فردريك اوزنام

مرراً لنا في المشرق غير مرة ذكر فردريك اوزنام فخر الكتلكة بل مجد الانسانية